العدد 4 No 4
تموز 2026 July 2026
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
مجلة محكمة تصدر عن
جامعة ساوة الاهلية

فن الرسم .. من الممارسة الترفيهية إلى التطبيق العلاجي

م. د صادق عبد الصاحب محمد الطائي
وزارة التربية/ المديرية العامة لتربية الرصافة الثالثة
sadeqiq313@gmail.com

الملخص:

تُعدُّ التربية الفنية بوصفها مادة ديناميكية متكيّفة مع التفاعل الحاصل بين المدرسة والمجتمع؛ جزءاً أساسياً من المناهج التربوية الحديثة التي تهدف إلى تحقيق بناء متوازن لشخصية الطالب من خلال مساعدته في استيعاب المعاني والقيم التربوية والجمالية وتهذيب سلوكه الاجتماعي بعد استقطابه حسيّاً؛ لاسيما أن أغلب مفردات هذه المناهج قد شهدت تغيراً ملحوظاً جاء نتيجة للتطور العلمي وتنوع المعارف وتعدد حقولها في ظل اضطراب ظروف المجتمع ونمو حاجات أفراده بالشكل الذي انعكس على خصائصهم الشخصية. أن ما تقدم أدى إلى ظهور توجهات تربوية وعلمية تدعو لدمج وتوظيف التربية الفنية من أجل المساعدة في تنمية الجوانب الوجدانية إلى جانب القدرة على تذوق الاعمال الفنية والتفاعل معها جمالياً واكتساب عدد من المهارات الضرورية لتحقيق الاتزان النفسي تحت عنوان العلاج بالفن الذي يُعد بما يتضمنه من صور عقلية واستجابات فكرية تُسهم في تحسين الوعي الذاتي، واحداً من أبرز أنواع العلاج النفسي التي تتيح المجال للطالب بأن يُفصح بشكل إيجابي عن ما يحمله من أفكار ومشاعر. إذ إن أداء الأنشطة الفنية يُمثل سلوكاً مركبًا يؤثر في المستوى الحسّي، وفي النمو المعرفي، والنفسي، والاجتماعي للطالب وفق متطلبات التكيّف مع التحولات السريعة التي يشهدها العالم المعاصر.

الكلمات المفتاحية: العلاج بالفن، العلاج بالرسم، التطبيق العلاجي.

Painting: From Recreational Practice to Therapeutic Application

Assistant Lec. Dr. Sadiq Abdul-Sahib Mohammed Al-Taie
Ministry of Education General Directorate of Education of Al-Rusafa

Abstract

Art education, as a dynamic discipline that adapts to the interaction between schools and society, constitutes an essential component of modern educational curricula aimed at fostering the balanced development of students' personalities. It achieves this by helping students comprehend educational and aesthetic values while refining their social behavior through sensory engagement. Moreover, the content of these curricula has undergone significant changes as a result of scientific advancement, the diversification of knowledge, and the expansion of its fields, particularly amid the instability of social conditions and the growing needs of individuals, which have consequently influenced their personal characteristic These developments have led to the emergence of educational and scientific trends advocating the integration and application of art education to promote students' affective development, enhance their ability to appreciate and respond aesthetically to works of art, and acquire essential skills for achieving psychological well-being. This approach is commonly referred to as art therapy, which, through its cognitive imagery and intellectual responses, contributes to improving self-awareness and is

recognized as one of the most prominent forms of psychotherapy. It provides students with a constructive means of expressing their thoughts and emotions in a positive manner.Engagement in artistic activities represents a complex form of behavior that influences students' sensory, cognitive, psychological, and social development, thereby enabling them to adapt more effectively to the rapid transformations characterizing the contemporary world.

Keywords: Art therapy; Drawing therapy; Therapeutic application

دور الفنون في البيئة المدرسية:

يُنظر إلى جودة النظام التعليمي بوصفها واحدة من أبرز مقومات التطور والتميّز في حياة المجتمع، لذلك تسعى المدرسة كبيئة اجتماعية رئيسية لدعم عمليتي التعلُّم والتعليم في المقام الأول، عبر تحقيق التوازن بين البناء المعرفي والنفسي والوجداني لشخصية الطالب، والنهوض بقدراته ومهاراته الحِسّيّة والفكرية وصقل مواهبه والحرص على توظيفها؛ من أجل تحقيق عملية الانتقال من التعليم التقليدي إلى التعليم القائم على الممارسة والتجريب وإعادة تشييد المعرفة، بالشكل الذي يجعل الطالب شريكًا أساسيًا في هذه البيئة. إذ "لم تعد عملية التعليم تُشير إلى اكتساب الطالب مجموعة من المعارف والمهارات والاتجاهات فحسب، وإنما أصبحت تشير إلى تعديل وتغيير شامل وعميق لسلوكه، ليصبح أكثر قدرة على استثمار كل الطاقات والإمكانات الذاتية استثماراً ابتكارياً وإبداعياً" (نصّار،٢٠١٤: ٥). ويسعى المنهج المدرسي الناجح إلى بناء شخصية الطالب وإثراء حياته عبر آليات فاعلة تتضمن أنشطة ومشاريع تطبيقية مع الانفتاح على المجتمع، إلى جانب توظيف الوسائط والممارسات الفنية التي تجعله أكثر إقبالاً على التعلم، وتعزز من وعيه الفكري ضمن رؤى تتماشى مع التوجه العام للمؤسسة التربوية. إذ "تُسهم الممارسة المستمرة للأنشطة الفنية في ترسيخ عادات العقل المنتجة لدى المتعلمين، مما يُعزز لديهم قيمة التعلُّم مدى الحياة، ويؤكد على المكانة المحورية للفنون في التعليم المعاصر" (سالم وعطية،٢٠١٦: ١١٢). كما تُسهم الفنون بشكل مباشر في تعزيز الثقة بالنفس، ومواجهة الضغوط والتحديات الذهنية والعاطفية، فضلاً عن اكتساب المرونة النفسية اللازمة، إلى جانب رفع مستويات الإبداع والتفاعل الاجتماعي. وتؤكد الدراسات على أن "علاقةُ التعليم بالفنون علاقة قوية وتبادلية وعلى مؤسسات التعليم وضع الاستراتيجيات المناسبة لدمج الفنون وتدريس المهارات الفنية والربط بينها وبين المقررات الدراسيّة الأُخرى، والاعتماد عليها بشكل أكبر ضمن البيئة التعليمية" (هيبة وآخرون،٢٠٢٣: ١٨٠٦)؛ لضمان ترجمة هذه المكتسبات النفسية والمعرفية إلى ممارسات عملية مستدامة داخل المؤسسات التعليمية. لا سيما بعد أن أصبحت المهارات الفنية أداة فاعلة في تعديل السلوك وتحسين الصحة النفسيّة للطلاب وإكسابهم القدرة على التعبير الحسي والفكري، وتحقيق الاندماج وتعزيز الانتماء للبيئة الاجتماعية. فضلاً عن كونها تُمثل أحد الروافد الأساسية التي تُسهم في ترسيخ عملية استيعاب النظريات المعرفية وتجسيد الأفكار المجردة بالشكل الذي يرفع مستويات التحصيل الأكاديمي، من خلال تكاملها جمالياً مع الطرائق التعليمية بأسلوب يُضفي طاقة تعبيرية تُكثّف المعنى وتُحفز دافعية التعلُّم.

سايكولوجية الرسم .. بين التشخيص والعلاج

يُعد الرسم ركيزة أساسية في التربية الفنية، وواحداً من أبرز أنشطتها التعليمية التفاعلية. إذ يُنظر إليه بوصفه مهارة يدوية وأداة تربوية ومعرفية مؤثرة في مجال النشاط التعبيري، والتطوير النفسي والعقلي، ووسيلة ضرورية لبناء شخصية الطالب وتوسيع مداركه وتنمية حسه الجمالي وتعزيز مهاراته، وأسلوب بصري يربط بين التفكير المنطقي والخيال الإبداعي. عرفّه (حسين وآخرون،٢٠٠٩) "بفن التعبير عن الأشياء والأشكال والعناصر ونقلها بالخط، قد يكون غاية في حد ذاته أو إعداداً لعمل آخر، يُمكن الحصول عليه بأي أداة خطية ... ويُمثل ترجمة للإحساس والإدراك البصري" (خلّاف،٢٠٢١: ٨). والرسم لغة بصرية بديلة تسبق الكلام وأداة حوارية تستمد قيمتها من الوجدان؛ وتتجاوز حدود الوصف البصري للأشكال والأشياء،

لتستوعب الأحاسيس، والمشاعر، والتمثلات النفسية كاستجابات عقلية للذكريات، والأفكار، والعلاقات. وترى (الشربيني،٢٠٢٥: ٢٠٩٢) "أن الرسم يُستخدم بوصفه وسيلة للتعبير والتواصل والتحليل النفسي، ويهدف إلى المساعدة في التغلب على المشاكل النفسية والعاطفية والاجتماعية، ويُحسن الصحة النفسية للطلاب ويرفع احترامهم لذاتهم". كما يُعد وسيلة للخطاب والتبليغ، واستكشاف الافكار وترجمتها إلى قناة للتواصل الإيجابي، علاوة على بروزه كأداة ربط بين المعرفة والوجدان، كما يُسهم في تنمية التآزر الحسّي – البصري، وتطوير مهارات الإدراك والتمييز البصري بين الأشكال والألوان والاحجام. فضلاً عن ذلك، يُعزز الرسم النمو المعرفي من خلال تحفيز مناطق الدماغ المرتبطة بالخيال. إذ "تنبثق أهميته من مدلوله النفسي المعرفي الاسقاطي الذي يُترجم ما يختلج في النفوس من مشاعر وأحاسيس وليس من شكله أو من مدلوله الفني، إلى جانب قيمته النفسية والتربوية بوصفه يُمثل لغة تعبيرية ووسيلة للتكيّف" (نهاد وبركو،٢٠١٩: ١٠٧). فالرسم أحد استراتيجيات المواجهة الانفعالية أو السلوكية التي يتم استثمارها من أجل تحقيق التوافق النفسي والتعامل مع المثيرات الضاغطة كنشاط ذاتي تلقائي ممتع يتيح للطفل تفريغ انفعالاته، والتعبير عن أفكاره ومشاعره بحرية، وهو ما يُعزز إحساسه بالاستقلالية والرغبة في الإنجاز. ونتيجة لذلك؛ أصبح العلاج أو الإرشاد بالرسم تقنية فعّالة في تعزيز الصحة والاستقلال النفسي، إذ "تشير الدراسات النفسيّة التحليلية إلى أن رسوم الأطفال تُعد نافذة مباشرة لفهم عقولهم الباطنة، والكشف عن ميولهم، وتقييم علاقاتهم الأسرية والاجتماعية، مما يُسهم في رفع مستوى إدراكهم لذواتهم وللآخرين" (جعفر وآل عامر،٢٠٢٣: ٦١٦). في حين يؤكد (ويكستروم، ٢٠٠٥) "أن الرسوم أداة قيمّة لتشخيص وعلاج السلوك غير المتكيّف" (السيوف،٢٠٢٠: ٢٧٢). إذ تشترك في دعم المرونة النفسيّة وآليات التكيّف الإيجابي من خلال المساعدة في التعبير عن المشاعر والأحاسيس المكبوتة، إلى جانب دورها في ترسيخ أسس البناء المعرفي والسيكولوجي اللازم للتشكيل المتكامل للشخصية. وترى (الشربيني،٢٠٢٥: ٢١٠١) نقلاً عن (البدري،٢٠٢٢)، و(الشناوي، ٢٠١٩)، و(رضوان،٢٠١٣) "أن للرسومات تأثيرات إيجابية على الصحة النفسية، لأنها تقلل من مستويات هرمونات التوتر في الجسم، مثل الكورتيزول والأدرينالين، في المقابل تحفز الدماغ على إنتاج نواقل عصبية تعمل على: تهدئة الأعصاب، الشعور بالاسترخاء، تحسين الحالة المزاجية، تعزيز الشعور بالسعادة والرضا، تقليل الشعور بالتوتر والقلق، تقليل الإصابة بالاكتئاب، تعزيز الثقة بالنفس وتقدير الذات، وتحسين المهارات الاجتماعية". وللرسومات دور مؤثر في توكيد الذات، وتعزيز ثقة الفرد في أفكاره وإبداعاته، وفي قدرته على التواصل الإيجابي مع الآخرين. كما "تُمثل رسوم الأطفال نشاطاً ذاتياً نابعاً من رغبتهم في التعبير عن ونقل الأفكار والمشاعر للآخرين، وتُعد أداة مهمة لقياس خصائصهم وقيمهم وسماتهم الشخصية، ووسيلة لتشخيص مشكلاتهم النفسيّة وأساليب علاجها" (عثمان، ٢٠٠٢: ٢٨). إذ تتيح المجال للجمع بين التعبير الإبداعي والعلاج النفسيّ، بوصفها نشاطاً معرفياً وقناة تربوية تُسهم في تنمية القدرات الحسيّة والعقلية والانفعالية، كما تعمل على تحفيز الإنتباه، وتقليل التوتر والقلق، والتغلب على الانطواء والشعور بالوحدة، مما يعكس أهمية استثمارها في تعزيز الصحة النفسية. وفي هذا السياق "يُنظر إلى الرسوم كأحد أشكال العلاج بالفن، فهي وسيلة إسقاطية للمخاوف والمشاعر والإدراكات، وللتنفيس عن الضغوط والدوافع اللاشعورية، وبها يتم تطوير الاتصال والتعبير عن الافكار، ويتولد الإحساس بتحقيق الذات" (محمد وعبدالقادر،٢٠٢٣: ١٨٥). وإلى جانب كونها نشاطاً تعبيرياً عفوياً تُمثل مظهراً من مظاهر اللعب، تُعد الرسوم مدخلاً أساسياً للتكيّف مع البيئة والمحيط الاجتماعي داخل المؤسسة التعليمية. وقد لخص (Wilkinson & Chilton: 2017) المذكورين في (نصير،٢٠١٩: ٢٥٥) أهمية العلاج بالرسم بما يلي:

١. تظهر أهميته في الحالات التي لا تُحسن التعبير عن نفسها.
٢. يُعد أساساً من أُسس التشخيص والعلاج للمرضى النفسيين، وهما عمليتان متضامنتان، ففي أثناء التعبير يتم التنفيس ومن خلال النتائج يتم التشخيص.
٣. يُعدُّ وسيلة لإشباع الحاجات بالنسبة للمريض.

٤. يُقوي دفاعات النفس، ويُساعد المريض ليؤسس ما يُسمى الميكانزمات الدفاعية في سلوك بنّاء، ويتعلم دفاعات جديدة.

٥. يُساعد في غرس وتنمية الخصائص والأنماط السلوكية اللازمة للتفاعل وبناء العلاقات الاجتماعية المثمرة مع الآخرين، وتحقيق التوافق الاجتماعي للطلبة، وإكسابهم المهارات التي تُمكنهم من الحركة النشطة في البيئة المحيطة والاختلاط والاندماج في المجتمع.

ويمكن ملاحظة أن العلاج عن طريق الميكانيزمات الدفاعية هو علاج مساعد، يُمكن استثماره في مواجهة الاضطرابات السلوكية التي يمر بها الطلبة فضلاً عن حالات العصاب والذهان. أمّا ما يخص "أهمية الرسوم بالنسبة للأطفال فقد لخصها (عبدالهادي وآخرون،٢٠٠٢: ٣٠) بما يلي:

- أن رسوم الاطفال تُعد معياراً يُمكن الاستناد إليه في تشخيص بعض المشكلات السلوكية والاجتماعية والنفسية التي يُعاني منها الأطفال.
- يُعد الرسم اسلوب لتكيّف الطفل مع البيئة، وأيضاً يُعد تعبيراً عن البيئة التي ينتمي إليها.
- للرسم أهمية في تكوين شخصية الطفل؛ لأن الرسم يُساعد الطفل في تركيب المعطيات وصياغة المسائل التي ترده من كل جهة على نحو غير منتظم، وبواسطته يتوصل الطفل إلى عزلها وتركيبها... .
- يُسهم في توسيع قدرات الطفل على التحليل والملاحظة، وزيادة ثقته بنفسه وجعله قادراً على أن يتقبل الآخرين.
- اكتساب الخبرة التي تساعد الطفل على تكوين مفهوم الذات وزيادة قدراته وإمكانياته المعرفية وتفعيل دوره اجتماعياً ونفسياً".

وبناءً على ما تقدم، يستنتج الباحث أن الرسم يُمثل أداة محورية في عملية تطوير شخصية الطالب وتعزيز حسه الإبداعي ومهاراته المعرفية، إذ يربط بين الحواس والتحصيل الأكاديمي، ويعمل على تُنمية الاستيعاب وتحسين الذاكرة. كما ينظم المعرفة بطريقة تفاعلية تُبسط المفاهيم والأفكار وتنمي الخيال والابتكار. علاوة على ذلك، يُثبت الرسم فعاليته كأداة للعلاج النفسي والاجتماعي، من خلال المشاركة في برامج مكافحة الإدمان بمختلف أنواعه، لاسيما ما يرتبط منها بالألعاب الإلكترونية، مع قدرة على دمج الأطفال المصابين بطيف التوحد وغيرهم من ذوي الاحتياجات الخاصة في مجتمعاتهم، فضلاً عن المساعدة في تخفيف حدة الصدمات النفسية والتوترات العصبية الناتجة عن الحروب والكوارث والاعتداءات المختلفة، وما يُرافقها من ارتدادات سلبية. أما في مجال التوصيات، يؤكد الباحث ضرورة العمل على إقامة المؤتمرات والفعاليات والورش التي تعزز قيمة الممارسات والأنشطة الفنية وبيان أثرها في العلاج النفسي واكتشاف وفهم العالم الداخلي للطالب، والعمل على مساعدته في تعديل وتوجيه سلوكياته. والحرص على نشر ثقافة العلاج بالفن (العلاج التعبيري) والتعليم العلاجي في داخل المدرسة وخارجها، والسعي إلى إنشاء المعارض والمتاحف الألكترونية لعرض رسومات الطلبة ونتاجاتهم الفنية وتسهم في توثيق مشاعرهم.

المصادر والمراجع:

١. خلّاف، أمل عبدالواحد محمد. تأثير تعليم الرسم على أطفال متلازمة أسبرجر، المجلة الدولية للمناهج والتربية التكنولوجية، مج (٥)، ع (٦)، القاهرة، كانون الأول، ٢٠٢١.

٢. سالم، هانم أحمد أحمد وعطية، رانيا محمد علي. عادات العقل وعلاقتها بكل من اتخاذ القرار وفاعلية الذات لدى الطلبة المتفوقين والعاديين بالصف الأول الثانوي العام، مجلة التربية الخاصة، كلية علوم الاعاقة والتأهيل، جامعة الزقازيق، مج (٥)، ع (١٤)، مصر، كانون الثاني، ٢٠١٦.

٣. السيوف، فاتن عيسى. فاعلية العلاج بالرسم في خفض الالكسيثيما لدى اللاجئات السوريات، مجلة العلوم النفسية والتربوية، جامعة الوادي، مج (٦)، ع (٣)، الجزائر، ايلول، ٢٠٢٠.

٤. الشربيني، هبة حسن محمد عبدالله. أثر ممارسة الرسم على جودة حياة الطلبة: دراسة تحليلية للأبعاد النفسية والاجتماعية والعاطفية والشخصية، المجلة العلمية لعلوم التربية النوعية، مج (٢١)، ع (٢١)، مصر، حزيران، ٢٠٢٥.
٥. عبدالهادي، نبيل وآخرون. الفن والموسيقى والدراما في تربية الطفل، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٢.
٦. عثمان، عبلة حنفي، ماذا تعني فنون أطفالنا لنا وللطفل، مجلة خطوة، المجلس العربي للطفولة والتنمية، العدد: ١٦، مصر، حزيران، ٢٠٠٢.
٧. ليماني، شهرزاد وعبدالقادر، بن سعيد. رسم وتنمية تقدير الذات لدى الطلبة ذوي صعوبات التعلّم، مجلة ألف: اللغة، والإعلام والمجتمع، مج (١٠)، ع (٤-١)، الجزائر، حزيران، ٢٠٢٣.
٨. محمد جعفر، عامر بن علي وآل عامر، وجدان ناصر صمان. فاعلية برنامج قائم على الرسم في تنمية مهارات التواصل غير اللفظي لدى اطفال اضطراب طيف التوحد، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية وتانفسية، المجلد (٣١)، العدد (٤)، فلسطين، تموز، ٢٠٢٣.
٩. نصّار، ضياء حسين محمد. مدى قدرة منهاج الفنون والحرف على تنمية القدرات الإبداعية لدى طلبة الصف التاسع الأساسي من وجهة نظر الطلبة في محافظة قلقيلية، رسالة ماجستير(غير منشورة)، جامعة النجاح، نابلس – فلسطين، ٢٠١٤.
١٠. نصير، تماره. فاعلية استخدام العلاج بالرسم في التخفيف من الضغط النفسي لدى عينة من طالبات المدارس الثانوية في لواء بني كنانة، المجلة الدولية للدراسات التربوية والنفسية – رفاد للدراسات والابحاث، المجلد (٦)، ع (٢)، الأردن، تشرين الأول، ٢٠١٩.
١١. نهاد، بوزغابة وبركو، مزوز. رسومات الأطفال: من وسيلة للترفيه إلى وسيلة للتشخيص والعلاج النفسي، مجلة الروائز، جامعة الحاج لخضر- باتنة، مج (٣)، ع (٢)، الجزائر، كانون الأول، ٢٠١٩.
١٢. هيبة، إسلام محمد وآخرون. دور الفنون البصرية في التحوّل نحو الاقتصاد الإبداعي لتحقيق التنمية الحديثة، المجلة العلمية لطلبة التربية النوعية، المجلد (١٠)، الجزء: (١)، العدد: (٣٦)، جامعة المنوفية، مصر، ٢٠٢٣.